التباين الدلالي في تأويل ظاهرتي الحذف والتقدير عند سيبويه

أ.م.د. قحطان جاسم محمد المذود
جامعة كركوك/كلية الآداب

SEMANTIC DISCREPANCY IN THE INTERPRETATION OF THE PHENOMENA OF DELETION AND APPRECIATION AT SIBAWAYH

Asst. Prof. Dr. Qahtan jasim Muhammad Almehtwad
Kirkuk University\ college of Literature

المقدمة

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام، وهدانا إليه بالقرآن، وأرسل إلينا محمداً هادياً وبشيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعدُ ..

فلقد نظر القدامى للنحو على أنه علم يبحث في ظاهرة اللغة ويستقصي حركات الإعراب، بل كان المقدَّم في علوم اللسان العربي، وبه تُبنى أصول المقاصد بالدلالة، فراح النحاة يعتنون بالتركيب في اللسان العربي وما يعتريه من تغيرات يقتضيها الأداء اللغوي للعرب وجعلوا يستقرئون هذه التغيرات التي جعلتها الدلالة الاستعمالية للغة ظاهرة تدعو أرباب صناعة النحو إلى الاحتفاء بها في

تأليفهم للقواعد النحوية، حتى أصبحت هذه الظواهر اللغوية أبوابا تسم تصانيف النحاة.

وقد نالت ظاهرة الحذف والتقدير – على اختلاف تسمياتها – حيزًا واسعًا في مجال النحو والدلالة في التراث النحوي، ومهما يكن من آراء النحاة فإنهم أخذوا بحظ وافر في استعمال مصطلح – الحذف والتقدير – أو ما رأوه يحل مكانه، كالتأويل والتوسع وغيرها، ولتقريب هذه المفاهيم التي رأى النحاة أنها تحمل معاني الحذف والتقدير وتتلبس به، وإن كانت هناك اصطلاحات حديثة استعملت فيما يقرب من مصطلح التقدير ولا سيما في النظرية التداولية .

ومن هنا جاءت دراستي (التباين الدلالي في تأويل ظاهرتي الحذف والتقدير عند سيبويه) منضوية تحت أربعة مباحث، الأول منها في مفاهيم المصطلحات ودلالاتها في اللغة والنحو، والثاني في الحذف والتقدير وعلاقتهما بالمخاطب، والثالث في الحذف والتقدير وعلاقتهما بالتوسع الدلالي، والرابع في الحذف والتقدير وعلاقتهما بالمجاز .

ثم ختمت الدراسة بأبرز النتائج التي توصلت إليها، تتبعها قائمة بأبرز المصادر والمراجع المعتمدة في البحث

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المبحث الأول

مفاهيم المصطلحات ودلالاتها في اللغة والنحو

أولاً : الحذف

الحذف لغة هو "القطع"(الافريقي ج٢٣، ص١٢١.)، و"الإسقاط"(الزمخشري ٢٠١١م، ج١ ص١٦٢)، يُقال: حذف الصانع الشيء سواه تسويةً حسنة، كأنه

حذف كل ما يجب حذفه حتى خلا من كل عيب وتهذب، ومنه فلانٌ محذف الكلام"(الجرجاني، ص١٧٧).

لقد اعتنى النحويون والبلاغيون بظاهرة الحذف، فهذا عبد القاهر الجرجاني يعقد بابًا للحذف، يقول فيه : "هو بابٌ دقيقٌ المسلك لطيف المأْخذ ،عجيب الأمر شبيهٌ بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطقْ، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تبنْ"(الجرجاني، ص١٧٧) وأتى عبد القاهر الجرجاني على تفصيل لطائف الحذف وأسراره وكيف له أنْ يحدث تغيرًا عن الأصل اللغوي فيكون إيجازًا وإعجازًا، والحذف يتداخل مع غيره من المصطلحات التي تكون هي خصوصًا يدخل تحت عمومه أو العكس ؛ فهو في تصوّر النحاة إسقاط جزء الكلام أو كلّه لدليل وهو خلاف الأصل.

وتطرق ابن جني إلى أنواع الحذف فقال: "قد حذفتِ العرب الجملة والمفرد والحرف وليس شيء من ذلك إلا عن دليل، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"(الجرجاني، ص١٧٧).

ثانياً : التقدير

التقدير لغة هو : قياس الشيء بالشيء، يقال: قدره به قدراً وقدره إذا قاسه، ويقال أيضاً : قدْرت لأُمر كذا أقْدر له، بهذا المعنى(الزبيدي، ٢٠٠٣م، ج١٣، ص٣٧٤)، و " ...قاذْرته قايسته" وفعْلت مثل فْعله والتقدير التْروية والتفْكير في تسوية أمر، وتقدر تهيأ(الفيروز آبادي ج٢، ص ١١٣.) .

أما عند النحاة فقد استُعمل هذا المصطلح لتحليل ظواهر لغوية تعتري التركيب في اللغة العربية، فيعمد النحاة إلى إعادة صياغة النص، و"التقدير هو حذف اللفظ مع نيته" (التونجي، ص١٥٣)، وهذا التعريف يُراعى فيه المتكلم ؛ لأنه

يدرك المراد من خطابه ويجعل للمخاطب محاولة إعادة صياغة الخطاب، ولهذا جعل الكثير من النحاة ضوابط للتقدير النحوي. وآلية التقدير يلجأ إليها المخاطب بإعمال ذهنه في التركيب ليحصل له الفهم، ولتلازم ظاهرة الحذف لظاهرة التقدير جعل تحديد مفهوم أي منهما بالضرورة يستدعي الآخر فمن التعريفات "من يقصر التقدير عند النحاة في الحذف" (التهانوي، ٢٠٠١م ،ج ١، ص٤٩٦).

ويرى المحدثون " أن ظاهرة الحذف والتقدير تشير في البحث النحوي إلى أسلوب محدد من أساليب التأويل، يرتكز على دعوى إعادة صياغة المادة اللغوية وتبنى هذه الدعوى على تصور سقوط بعض أجزاء هذه المادة ذاتها من التركيب"(أبو المكارم، ٢٠٠٣م، ص٢٤٩)، هذا عن موضع الاتفاق، أما ما اختلف فيه المصطلحان فمرده إلى " أن الحذف عند النحاة يقتصر على حالة حذف العامل سواء بقي معموله على ما كان له من حكم إعرابي أو تغير ليتسق مع وضعه التركيبي الجديد، والتقدير عند النحاة، كما تحدده تعريفاتهم بأنه يتناول محذوفات أخرى غير العامل، فهو يتناول حذف المعمول وكذلك حذف الجملة بأسرها، أي العامل والمعمول معًا.

والحذف عند النحاة مقصور على حالة افتراض سقوط أجزاء معينة من النصوص اللغوية المؤولة، هي العوامل، أنما التقدير فإنه فضلاً عن تناوله لحالات الحذف المختلفة فهو يشمل أيضًا حالات أخرى لا حذف فيها، بل كل ما فيها هو افتراض إعادة صياغة المفردات أو الجمل أو سبكها بهدف تصحيح الحركة الإعرابية" (أبو المكارم، ٢٠٠٣م ، ص٢٠٨).

ولعل هذا الاستقراء يحاول إيجاد فواصل بين المصطلحين "الحذف والتقدير"، ونتيجته أن التقدير يشمل الحذف؛ فإن كل محذوف يقدّر وليس كل مُقدّر هو حذف.

ثالثاً : التأويل

لم يخرج معنى التأويل في اللغة عن معنى الرجوع والعودة والرّد والتدبير والتقدير، " وآل الشيء يؤول أوْلاً ومآلاً رجع، وأول إليه الشيء رجعه"(الافريقي ج١١، ص١٧١).

والتأويل مصطلح لم يكن سابق الظهور في البيئة النحوية وإنه ظهر في كتب الفقهاء والمفسرين، ففي " الشرع هو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا للكتاب والسنة (الزمخشري، الكشاف، ٢٠١١م، ج١ ص٢٥).

وانشغال النحويين بتأصيل القاعدة، ومن ثَمّ صحتها مع مراعاة سلامة النصوص دلاليًا، جعلهم منقسمين حول التخريجات النحوية

وهناك أسباب جعلت من التأويل نتيجة نظر عقلي عميق؛ كانت له أسبابه غير المباشرة من تأثير الباحثين في النحو بطريقة البحث في العلوم التي صاحبته وعاصرته وبخاصة تأويل التفسير، أما أسبابه المباشرة حقا فهي الأصول النحوية الأخرى حيث صيّر النحاة النصوص اللغوية لتتوافق مع تلك الأصول (عيد ، ١٠٩٥م، ص١٦٢).

وحين تخضع هذه الظاهرة اللغوية للنظر العقلي ستخرج في الأغلب عن الالتزام بالنصوص وهذا ما يجعله يتكئ على جبهتين:

أولا: الأخذ بالنصوص الموافقة للقواعد

ثانيا: تأويل النصوص المخالفة للقواعد تأويلا يبعد بها عن التأثير في القواعد ذاتها ؛ إذْ يفسرها ويصوغها بشكل ينْأى بها عن معارضتها أو يضعف من قيمة هذه المعارضة ويلغي أثرها "، فهذان هما المبحثان الرئيسان في الصناعة النحوية (أبو المكارم، ٢٠٠٣م، ص٢٣٣).

وكان اعتماد النحاة على التأويل النحوي في باب التقعيد وسيلتهم في ردّ الجمل إلى أصولها، ويعد ذلك نوع من أنواع التأويل يسمى "التخريج" ويتم هذا التخريج بوجه من وجوه الرد إلى أصل وضع الجملة، فقد يكون التخريج بواسطة القول بالحذف أو الزيادة أو الفصل أو الإضمار أو التقدير أو التأخير أو التضمين أو بتفضيل أصل على أصل أو قياس على قياس "القاعدة القياسية (حسان، ٢٠٠٠م، ١٤٥)

رابعاً : التوسع

أوردت ذكر هذا المصطلح ؛ لأن النحاة يجعلونه ضربا من الحذف، والاتساع مصدر " و س ع " و توسعوا في المجلس أي: تفسحوا(ابن منظور الافريقي ج٨، ص٣٩٢)، والواسع ضد الضيق كالوسعْ"(الفيروز آبادي، ج٣، ص٩٣) وهكذا يظهر أن الاتساع أو التوسع يقترب من مفهوم النحاة، فابن السراج يقول إن الاتساع ضربٌ من الحذف ثم ما يلبث يحاول التفرقة بين المصطلحين "اعلم أن الاتساع ضربٌ من الحذف إلا أن الفرق بين هذا الباب والباب الذي قبله، أن هذا تقيمه مقام المحذوف وتعربه بإعرابه، وذلك الباب تحذف العامل فيه، وتدع ما عمل فيه على حاله في الإعراب، وهذا الباب العامل فيه بحاله وإنما تقيم فيه المضاف إليه مقام المضاف، أو تّجعل الظرف يقوم مقام الاسم ..."(ابن السراج ،٢٠٠١م، ج٢، ص٢٥٥)

وهذا الرأي يجعل الاتساع في الكلام هو إبقاء العامل على حاله مع إقامة عنصر مكان المعمول المحذوف وذلك بتقدمه أي العنصر ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾، حذف المضاف الذي قدر بـ"أهل" ووظيفته المفعولية وأقيم المضاف إليه مقامه "القرية" وأجري الحكم الإعرابي الذي كان مجرى على المحذوف. وهو بذلك يوجد –ابن السراج – فارقًا بين الحذف الذي يختص بحالة حذف العامل وإبقاء المعمول، ويجعل الاتساع مختلفًا عن الحذف في أنه في حالة

الاتساع يتغير ما بعد المحذوف، ليتناسب حكمه الإعرابي مع وضعه الجديد، وهو ما يتسق مع أمثلته التي ذكرها ومواضعه التي فصلها في ثلاث نقاط (أبو المكارم ، ٢٠٠٣م ص٢٠٢):

١-المصادر

٢-بين المضاف والمضاف إليه

٣- في عدد من المفاعيل من بينها المفعول له والمفعول معه

وإذْ يذهب ابن السراج هذا المذهب في تفسيره نجد ابن جني يفصّل في هذه القضية حينما يناقش قضية الحذف فيقول: "...أحدهما أن الحذف اتساع، والاتساع بابه آخر الكلام وأوسطه لا صدره وأوّله"(ابن جنب، ج١، ص٢٩٠)، وبذلك يجعل ابن جني الحذف والاتساع واحد، " ولاشك أن التوسع في جوهره هو تجاوزٌ للعلاقة النحوية العادية، وهذا ما يتصوره النحاة كما أنه كان أحد الأبواب التي فتحت لعلم الأسلوب " (الرمالي، ٢٠٠١م، ص٩٢).

المبحث الثاني

الحذف والتقدير وعلاقتهما بالمخاطب

يتناول سيبويه في كتابه عند حديثه عن الحذف الواجب في "باب ما يُنصبُ من المصادر على إضمار الفعل غير المستعمل إظهارُه" يقول: "وذلك قولك سقياً ورعياً ونحو قولك خيبةً ودفراً وجدعاً وعقراً وبؤساً وأفةً وتُفةً وبُعداً وسُحقاً ومن ذلك قولك تعساً وتبا وجُوعاً... وإنما ينتصب هذا وما أشبهه إذا ذُكر مذكورٌ فدعوت له أو عليه على إضمار الفعل كأنك قلت سقاك الله سقياً ورعاك الله رعياً وخيبك الله خيبةً، فكل هذا وما أشباهه على هذا ينتصب. وإنما اختُزل الفعلُ ها هنا ؛ لأنهم جعلوه بدلاً من اللفظ بالفعل، كما جُعل الحذر بدلا من احذر وكذلك هذا كأنه بدلٌ من سقاك الله ورعاك الله ومن خيبك الله وما جاء منه لا يظهر له فعلٌ فهو على

هذا المثال نصبٌ كأنك جعلت بهراً بدلا من بهرك أُلله، فهذا تمثيلٌ ولا يُتكلم به"(الرمالي، ٢٠٠١م، ص١١٥).

فإتيان المصدر منصوبًا نائبًا مناب الفعل، وهو المفعول المطلق، كقول القائل: (أحمد الله) ثم يُحذف الفعل ويأتي بمصدره منصوبًا، نائبًا منابه فيقول: (حمدًا لله).

ومثله: (أسلم عليك) ثم تحذف الفعل، وتأتي بمصدره منصوبًا نائبًا منابه فتقول: (سلاما عليك).

وتقول: (سقاك الله)، ثم تحذف الفعل، وتأتي بمصدره منصوبًا نائبًا منابه، فتقول: (سقيا لك)، وتقول: (أشكر لك فعلك) ثم تحذف الفعل، وتأتي بمصدره منصوبًا منابه، فتقول: شكرًا لك.

وهذه الجمل المبدوءة بمصادر منصوبة، كلها جمل فعلية ؛ لأنها منصوبة بفعل محذوف فإذا رفعت هذه المصادر صارت الجملة اسمية (فاضل السامرائي، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، ج١، ص١٨٢).

فمعنى (أحمد الله) و (حمدًا لله) واحد فكلتا الجملتين فعلية، وكلتاهما تدل على الحدوث والتجدد، ولكن في الجمل الثانية اختزل الفعل وفاعله، لأنه لا يتعقل غرض بذكرهما وجيء بمصدره الذي هو أقوى من الفعل(السامرائي، ٢٠٠٠ م، ج١، ص١٨٣)، فدلالة الجملة في حذف الفعل غير دلالتها في تقديره، ففي الحذف مبالغة وقوة ليست كالمبالغة في التقدير، وفي تقدير الرفع مبالغة ليست في النصب ؛ لأن الرفع علامة ثبوت، والنصب علامة التجدد والحدوث.

ويؤكد سيبويه أن تأويل المحذوف إنما تم على المستوى الدلالي وليس على المستوى التركيبي؛ فالحذف في مثل هذه الجمل حذف واجب، ولا يُعقل النطق بعنصر لغوي وجب حذفُه، إلا على سبيل التمثيل. ويشير سيبويه إلى أن معرفة

المحذوف –في مثل تلك الجمل– تعتمد على الافتراض المسبق بين أصحاب اللغة الذين عبر عنهم بصيغة الجمع في قوله "وإنما اختُزل الفعلُ ها هنا ؛ لأنهم جعلوه بدلاً من اللفظ بالفعل"، فالمتكلم عندما ينطق بمثل هذا الكلام يفترض أن المستمع يعلم المعنى المراد، وكذلك المستمع يتعرف على ذلك المعنى من خلال افتراضه المسبق بأن المتكلم أراد ذلك المعنى؛ وهو ما عبّر عنه سيبويه "إنما تُضمر حين ترى أن المُحدث قد عرف من تعني"(سيبويه، ١٩٦٦ م، ج٢، ص٨٥ – ٨٨)، ولو لم يتحقق ذلك الاتفاق بين مستعملي اللغة لما جاز الحذف، فتلك الافتراضات المسبقة لا تُفترض إلا من أجل أن يصبح الكلام ناجحًا ومناسبًا.

وفي نحو قولنا: الحمدُ لله الحميد، يحكي سيبويه ثلاثة أوجه: أولها الإتباع إذا أردنا الوصف، والثاني القطع بالرفع على الابتداء، والثالث القطع بالنصب على إرادة المدح والتعظيم. لكن سيبويه يحكي عن الخليل شرطًا لابد منه لكي يأتي الكلام منصوبا على إرادة المدح أو الذم أو الترحم؛ إذ يقول: "زعم الخليل أن نصب هذا على أنك لم ترد أن تحدث الناس ولا من تخاطب بأمر جهلوه، ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمت فجعله ثناء وتعظيما. ونصبه على الفعل؛ كأنه قال أذكر أهل ذاك وأذكر المقيمين، ولكنه فعل لا يستعمل إظهاره"(سيبويه، ١٩٦٦ م، ج٢، ص٦٦).

فلا بد – لكي ينصرف الكلام في مثل تلك الجمل إلى المدح أو الذم أو الترحم – أن يُحدث المتكلمُ المخاطب بأمر يعلمه، فهناك معرفة مشتركة بين الطرفين، وتلك المعرفة هي التي سوغت انصراف الكلام إلى تلك الأغراض.

فإذا ما قال أحدنا: أتاني زيدٌ الفاسق الخبيث، بالنصب، فإنه –عندئذ– "لم يرد أن يكرره، ولا يعرفك شيئا تنكره، ولكنه شتمه بذلك"(سيبويه، ١٩٦٦ م، ج٣، ص٧٠). وفي قراءة النصب "وامرأتُهُ حمالة الحطب" لم يجعل الحمالة خبرًا للمرأة،

ولكنه كأنه قال: أذكر حمالة الحطب شتما لها، وإن كان فعلا لا يستعمل إظهاره"(سيبويه، ١٩٦٦ م، ج٢، ص٧٠).

وفي قول الشاعر:

سقوني الخمر ثم تكنفوني عُداة الله من كذب وُزُور

بنصب "عُداة"، يقول سيبويه:" إنما شتمهم بشيء قد استقر عند المخاطبين"(سيبويه، ١٩٦٦ م، ج٢، ص٧٠).

ففي كل ما سبق قُطع الكلام بالنصب، والناصب فعل محذوف وجوبا ؛ لأنه "فعل لا يستعمل إظهاره"، ومن ثم فتقديره بـ "أمدح، أو أذكر مادحا، أو أذم، أو أذكر شتما، أو نحو ذلك" إنما هو تقدير على المستوى الدلالي وليس على المستوى التركيبي؛ ليتضح الغرض الاستعمالي المقصود من الكلام. وهذا الغرض إنما يفهمه المتلقي بناء على المعرفة المسبقة المشتركة بينه وبين المتكلم؛ فالمخاطب –في المثال– لابد أنه يعلم أن زيدا فاسق خبيث، وكذلك المخاطب بالآية الكريمة يعلم من أمر امرأة أبي لهب أنها كانت تضع الحطب في طريق رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وكذلك المخاطب ببيت الشعر لابد أنه يعلم أن هؤلاء القوم تلك صفتهم. وإذا ما كان المخاطب يعرف المتحدث عنهم ويعلم صفاتهم ولا ينكرها؛ فأولى بالمتكلم أن يبني على تلك المعرفة المشتركة معنى جديدا هو ذمهم بتلك الصفات، وكذلك الأمر عند إرادة المدح والترحم.

ويبدو أن هناك فرقًا في المعنى، فعندما يقطع مع المرفوع إلى النصب، ومع المنصوب إلى الرفع، ومع المجرور إلى الرفع، أو النصب، فتقول: (مررت بخالد العظيم، أو العظيم) ويبدو أن القطع إلى الرفع أثبت وأشهر، وذلك ؛ لأنه في النصب بتقدير جملة فعلية، نحو: (أعني العظيم أو أمدح) وفي الرفع بتقدير اسم أي (هو العظيم) والاسم أثبت وأقوى وأدوم من الفعل، فقولك (مررت بمحمد العظيم)

بالاتباع قد يراد منه تمييزه من غيره الذي هو حقير أو يراد مدحه بهذه الصفة، وقولك (مررت بمحمد العظيم) بالنصب، تريد تنبيه السامع على هذه الصفة كما تعني أن محمدا مشهور بهذه الصفة معلوم بها للمخاطب يعلمه كل أحد، وقولك (مررت بمحمد العظيم) بالرفع يدل على أن محمدًا معلوم اتصافه بهذه الصفة مشهور بها، غير أن اتصافه بهذه الصفة واستقرارها ورسوخها فيه وتمكنها منه أكثر وأشد مما قبلها(السامرائي، ٢٠٠٠ م، ج٢، ص١٩٨).

وورد القطع في العطف أيضا للدلالة على أهمية المقطوع من بين المعطوفات، جاء في الكشاف، في قوله تعالى: {والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء} [البقرة: ١٧٧] " وأخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص والمدح إظهاراً لفضل الصبر في الشدائد، ومواطن القتال على سائر الأعمال" (الزمخشري، ج١، ص٢٥٢).

وجاء في شرح شذور الذهب، في قوله تعالى: {لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليه وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة} [النساء: ١٦٢]، إن المقيمين نصب على المدح، وتقديره وامدح المقيمين، وهو قول سيبويه والمحققين وإنما قطعت هذه الصفة عن بقية الصفات لبيان فضل الصلاة على غيرها (الزمخشري، ج١، ص٤٣٨).

وكتاب سيبويه يحتوي على أمثال تلك الجمل التي يقدر فيه المحذوف ويؤولها سيبويه اعتمادًا على السياق المقامي؛ ليصل من خلال ذلك إلى معنى هو تال للمعاني الدلالية لتلك الجمل.

يقول سيبويه: "وتقول: قد جربتك فوجدتك أنت أنت، فأنت الأولى مبتدأة والثانية مبنية عليها؛ كأنك قلت فوجدتك وجهك طليق، والمعنى أنك أردت أن تقول فوجدتك أنت الذي أعرف. ومثل ذلك: أنت أنت، وإن فعلت هذا فأنت أنت؛ أي فأنت الذي أعرف أو أنت الجواد والجلد. كما تقول: الناس الناس؛ أي الناس بكل

مكان وعلى كل حال كما تعرف. وإن شئت قلت: قد وليت عملا فكنت أنت إياك، وقد جربتك فوجدتك أنت إياك، جعلت أنت صفة وجعلت إياك بمنزلة الظريف إذا قلت فوجدتك أنت الظريف؛ والمعنى أنك أردت أن تقول وجدتك كما كنت أعرف"(سيبويه، ١٩٦٦ م، ج٢، ص٣٥٩ – ٣٨١).

إن جملة نحو: "أنت أنت" ظاهرها يوحي بالتوكيد اللفظي، وذلك هو معناها اللغوي بعيدا عن السياق. يقول سيبويه "وتقول: أنت أنت، تكررها كما تقول للرجل أنت وتسكت... تقول: قد جربت فكنت كنت، إذا كررتها توكيدا"(سيبويه، ١٩٦٦ م، ج٢، ص٣٨١). لكن باللجوء إلى السياق الذي قيلت فيه يصبح المراد ليس معناها اللغوي، إنما معناها الاستعمالي الضمني الذي هو تال لذلك المعنى اللغوي "أي أن الضمير "أنت" لا يُراد معناه اللغوي، إنما يراد به الوصف؛ أي بمنزلة "الظريف" لو قلت: أنت الظريف". والمعنى الاستعمالي المراد –في الجمل السابقة– هو ما أشار إليه سيبويه بقوله: "أنت الجواد والجلد" أو "وجهك طليق"، ونحو ذلك. ومن خلال السياق المقامي يتحدد معنى من بين تلك المعاني.

وتتباين الدلالة إذا ما نظرنا إلى التقدير في قولنا في المثال: أنت أنت، أي أنت الجواد، ومن المعلوم أن الذي لا يغاير المبتدأ لفظًا يذكر للدلالة على الشهرة أو عدم التغير كقوله:

أنا أبو النجم وشعري شعري

أي هو المشهور المعروف بنفسه(الاسترابادي :ج١، ص١٨) ،ومنه قول أبي تمام:

لا أنتِ أنتِ ولا الدّيارُ ديار خفَّ الهوى وتولت الأوطار

" فقوله (لا أنت أنت ولا الديار ديار) من المليح النادر في هذا الموضع ؛ لأنه هو هو والديار ديار، وإنما البواعث التي كانت تبعث على قضاء الأوطار

زالت، فبقي ذلك الرجل وليس هو هو على الحقيقة، ولا الديار في عينه من الحسن تلك الديار، وعلى هذا ورد قول أبي الطيب المتنبي:

قبيلٌ أنت أنت وأنت منهم وجدك بشرٌ الملك الهمام

فقولك (أنت أنت) من توكيد الضميرين المشار إليهما، وفائدته المبالغة في مدحه ولو مدحه بما شاء الله لما سد مسد، قوله (أنت أنت) أي أنك المشار إليه بالفضل، دون غيرك، (الاسترابادي : ج٢، ص٢٣).

ويتضح الفارق الدلالي بين الجملين أن بقاء الجملة على التوكيد اللفظي فيه معنى المبالغة ما ليس في التقدير.

وعند قولنا: له عِلْمٌ عِلْمُ الفُقَهاءِ، وله رَأْيٌ رأيُ الأُصَلاءِ. وإنَّما كان الرفعُ في هذا الوجهَ ؛ لأنَّ هذه خِصالٌ تَذكرها في الرجل، كالحلم والعلم والفضل، ولم ترد أن تُخبِر بأنك مررت برجل فى حال تعلُّمٍ ولا تفهُّمٍ، ولكنّك أردت أن تَذكر الرجل بفضلٍ فيه، وأَنْ تَجعل ذلك خَصلةً قد استَكملها، كقولك: له حَسَبٌ حَسَبُ الصالحينَ ؛ لأَنَّ هذه الأشياءَ وما يُشْبِهها صارت تَحليةً عند الناس وعلاماتٍ. وعلى هذا الوجهِ رُفع الصوتُ.

وإن شئت نصبتَ فقلت: له عِلْمٌ علمَ الفقهاءِ، كأَنَّك مررت به في حال تعلُّمٍ وتفقُّهِ، وكأَنّه لم يَستكمل أن يقال: له عالِمٌ.

وإنما فُرق بين هذا وبين الصَّوت ؛ لأنّ الصوت عِلاجٌ، وأنّ العِلْم صار عندهم بمنزلة اليَدِ والرَّجلِ. ويدلُّك على ذلك قولهم: له شَرَفٌ، وله دِينٌ، وله فَهَمٌ. ولو أرادوا أنّه يُدْخِلُ نفسَه فى الدَّينِ ولم يَستكمل أن يقال: له دِينٌ، لقالوا: يَتديَّنُ وليس بذلك، ويَتشرَّفُ وليس له شَرَفٌ، ويَتفهَّمُ وليس له فَهَمٌ. فلمّا كان هذا اللفظُ للّذين لم يَستكملوا ما كان غيَر علاجٍ، بَعُدَ النصبُ فى قولهم: له عِلْمٌ علمُ الفقهاءِ.

وإذا قال: له صوتٌ صوتَ حمارٍ، فإنَّما أَخبر أنَّه مرّ به وهو يصوَّت صوتَ حمارٍ.

وإذا قال: له علمٌ علمُ الفقهاءِ، فهو يُخبِر عمَّا قد استقرّ فيه قبل رؤيته وقبل سَمْعِه منه، أو رَآه يَتعلَّم فاستدَلّ بحُسْن تعلُّمهِ على ما عنده من العلم، ولم يردْ أن يُخبِر أَنَّه إنما بدأَ فى عِلاج العلم في حال ليقه إيّاه ؛ لأنَّ هذا ليس مما يُثْنَى به، وإنَّما الثناءَ فى هذا الموضع أن يُخبِر بما استَقرّ فيه، ولا يُخبِر أنّ أَمْثَلَ شيء كان منه التعلُّمُ فى حال لقائِه(سيبويه، ١٩٦٦ م، ج١، ص٣٦١).

المبحث الثالث

الحذف والتقدير وعلاقتهما بالتوسع الدلالي

تتجلى في كتاب سيبويه الجمل التامة التي يُراد من ورائها معنى آخر أكثر اتساعا من معناها اللغوي، إذ نجد سيبويه يلجأ إلى التوسع في الاستعمال لتأويل مثل قولنا: أتاني رجل، حيث يقول: "يقول الرجلُ: أتاني رجلٌ، يريد واحداً في العدد لا اثنين، فيقال ما أتاك رجل؛ أي أتاك أكثرُ من ذلك. أو يقول أتاني رجلٌ، فيقال ما أتاك رجل؛ أي امرأة أتتك. ويقول أتاني اليوم رجلٌ؛ أي في قوته ونفاذه، فتقُول ما أتاك رجلٌ؛ أي أتاك الضعفاءُ"(سيبويه، ١٩٦٦ م، ج١، ص٥٥). فهذه الجملة على مستوى التركيب النحوي جملة تامة، ليست في حاجة إلى تقدير محذوف –كما هو الحال في النوع الأول– لكنها على المستوى الدلالي غير مفيدة؛ لذا لجأ سيبويه إلى التوسع على المستوى الدلالي ليتحقق المعنى الاستعمالي المراد. فالمعنى اللغوي لهذه الجملة غير مفيد، لكنه يصبح مفيدا إذا ما أوله المتلقي بمثل ما أوله به سيبويه؛ بإضافة معلومات جديدة ليست موجودة في الكلام المنطوق. فالمعاني التي توصل إليها سيبويه معان تداولية أكثر اتساعا من ذلك المعنى اللغوي لمنطوق الجملة.

ويعقد سيبويه باب للاتساع بقوله: "باب استعمال الفعل في اللَّفظ لا فى المعنى لاتَّساعِهم فى الكلام، والإيجاز والاختصار فمن ذلك أَنْ تقولَ على قول السائل: كَمْ صِيدَ عليه؟ وكَمْ غيرُ ظَرْفٍ لما ذكرت لك من الاتّساع والإيجاز، فتقول: صِيدَ عليه يومانِ. وإنَّما المعنى صِيدَ عليه الوحشُ في يومينِ، ولكنّه اتَّسع واختَصر(سيبويه، ١٩٦٦ م، ج١، ص٢١١).

ومما جاء على اتّساع الكلام والاختصارِ قوله تعالى جدّه: " واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها " إنّما يريد: أهلَ القرية، فاختصر، وعمل الفعل في القرية كم كان عاملاً في الأهل لو كان هاهنا.

ولعل هذا ليس من باب حذف المضاف، ولا من باب تأويل المصدر بالوصف، وإنما هو ضرب آخر من الكلام وافتنان فيه بقصد المبالغة(السامرائي، ٢٠٠٠ م، ج١، ص١٩٦).

ومثله: " بل مكر الليل والنهار "، وإنّما المعنى: بل مكر كم في الليل والنهار. فالليلُ والنهار لا يَمكُرانِ، ولكنّ المكرَ فيهما، وقال عزّ وجلّ: " ولكن البر من آمن بالله "، وإنّما هو: ولكنّ البِرَّ برُّ من آمن بالله واليوم الآخِر(سيبويه، ١٩٦٦ م، ج١، ص٢١٢).ومثله فى الاتّساع " قولُه عزّ وجلّ ": " وَمَثَلُ الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً "، وإنَّما شُبّهوا بالمنعوق به. وإنَّما المعنى: مَثَلُكم ومَثَلُ الذين كفروا كمثل الناعِق والمنعوقِ به الذى لاُ يَسمع. ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطَب بالمعنى(سيبويه، ١٩٦٦ م، ج١، ص٢١٢).

وقد تقول: سِيرَ عليه اليومُ، فترفعُ وأنت تعنى فى بعضِه، كما تقول في سعة الكلام: الليلةُ الهلالُ، وإنَّما الهلالُ فى بعض الليلة، وإنَّما أراد الليلةُ ليلةُ الهلالِ، ولكنه اتَّسع وأَوجز. وكذلك أيضاً هذا كلُّه، " كأنّه قال: سِيرَ عليه سَيْرُ اليوم. والرفعُ فى جميع هذا عربىّ كثير فى جميع لغات العرب، على ما ذكرتُ لك من سعة الكلام والإيجاز(سيبويه، ١٩٦٦ م، ج١، ص٢١٦) .

وقال العجّاج:

طُولُ الليالي أسْرعتْ في نَقْضِـي

وسمعنا من العرب من يقول ممن يوثق به: اجتَمعتْ أهلُ اليمامِة ؛ لأنَّه يقول في كلامه: اجتمعتِ اليمامةُ، يعني أهل اليمامة، فأنّث الفِعْلَ في اللفظ إذْ جعله في اللفظ لليمامة، فترك اللفظَ يكونُ على ما يكون عليه في سعة الكلام(سيبويه، ١٩٦٦ م، ج١، ص٥٣).

تَرْتَعُ ما رَتَعَتْ حتَّى إذا ادَّكرتْ فإنَّما هى إقبالٌ وإدبارُ

فجعلها الإقبالَ والإدبارَ، فجاز على سعة الكلام، كقولك: نهارُك صائمٌ وليلك قائمٌ.

فأخبرت عن الناقة بقولها (هي إقبال وإدبار) والإقبال والإدبار، لا يكونان خبرا عن الناقة وإنما هي مقبلة مدبرة، فما معنى هذا الإخبار وما الغرض منه؟

والغرض من هذا الإخبار هو المبالغة بجعل العين هو الحدث نفسه، فالناقة تحولت إلى حدث مجرد من الذات فليس فيها ما يثقلها من عنصر الذات، وإنما هي تحولت إلى إقبال وإدبار، وإن ابنك يا نوح تحول إلى عمل غير صالح، ولم يبق فيه عنصر من عناصر الذات، ومثل هذا الوصف بالمصدر نحو (أقبل رجلٌ عدلٌ)(السامرائي، ٢٠٠٠ م، ج١، ص١٩٣).

وذكر ابن جني أنه "إذا وصف بالمصدر صار الموصوف كأنه في الحقيقة مخلوق من ذلك الفعل وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إياه، ويدل على أن هذا معنى لهم ومتصور في نفوسهم(ابن جني : ج٣، ص٢٥٩ – ٢٦٠).

وكذلك يتحقق التوسع الاستعمالي السابق من خلال مؤشرات السياق المقامي، والتي تتضمن وقوف المستمع على حال المتحدث عنه، وذلك ما أشار

إليه سيبويه بالجملة الصادرة عن المستمع "ما أتاك رجل"، واختلاف تأويلها في كل مرة تبعا لمقصود المتكلم.

المبحث الرابع

الحذف والتقدير وعلاقتهما بالمجاز

إذا ما خلا كلام المتكلم من عنصر الصدق "أي: مطابقة الكلام للواقع" – أو كان من قبيل المستقيم الكذب باصطلاح سيبويه"– فعندئذ يلجأ المتلقي إلى التأويل المجازي لفهم مراد المتكلم، معتمدا –في أغلب الأحيان– على السياق المقامي(سيبويه، ١٩٦٦ م، ج١، ص٢٥– ٢٨).

إذن يمكن للمتكلم أن يقول شيئا لكنه يريد شيئا آخر، وعلى المستمع أن يصنع استنتاجًا سياقيًا خاصا ينقله مما قاله المتكلم إلى ما يعنيه، وفي مجال "التداولية، ينظر للمعنى الذي يقصده المتكلم على أنه معنى سياقي .

وفي كتاب سيبويه أمثلة متعددة لمثل تلك الجمل التي لا يفهمها المتلقي إلا على جهة المجاز، مثل سيبويه للمستقيم الكذب في إطار حديثه عن "الاستقامة من الكلام والإحالة" بقوله: حملتُ الجبل، وشربتُ ماء البحر"(سيبويه، ١٩٦٦ م، ج١، ص٢٨). والمتكلم يفهم معنى الجملة الأولى على أن المراد "تشبيه حمل شيء ثقيل جدا، أو حمل تبعة ثقيلة، بحمل الجبل في الضخامة والثقل وإمكان النهوض – مع ذلك– بما حمل مع المشقة والعناء... وهنا يكون الاعتماد على السياق الذي ترد فيه الجملة"(حماسة،، ٢١١١م، ص٢٩).

وكذلك في الجملة الثانية يفهم المتلقي مراد المتكلم على جهة المجاز؛ كأن يُراد بها –في سياق معين– تجرعُه لشيء مؤلم لا يقبله ولا يستسيغه، وتشبيهه بمن يشرب من ماء البحر، ولا يكون المعنى مفهوما على ذلك النحو إلا عند اعتبار أن المراد بـ "ماء البحر" ماء البحر كله لا بعضه؛ فقد يوحي منطوق الجملة بأنها من

المجاز، لكن العُرف ينأى بها عنه إلى الحقيقة؛ وذلك "أنك إذا قلت: شربتُ ماءك –وإنما شربت بعضه– كنت صادقًا"(ابن جني، ٢١١٤م، ج١، ص١٢٨)، وإنما جعل سيبويه قولك: حملتُ الجبل، وشربتُ ماء البحر، ونحوه – كذبًا؛ "ليدلك على أن مراده هنا بقوله: ماء البحر – جميعه ؛ لأنه لا يجوز أن يُشرب جميعُ مائه، فأما على العُرف في ذلك، على ما مضى، فلا يكون كذبًا"(ابن جني، ٢١١٤م، ج١، ص١٢٨).

وفي موضع آخر يقول سيبويه: "وتقول متى سير عليه فيقول أمس أو أول من أمس فيكونُ ظرفاً على أنه كان السيرُ فى ساعة دون سائر ساعات اليوم أو حين دون سائر أحيان اليوم. ويكونُ أيضاً على أنه يكون السيرُ فى اليوم كله ؛ لأنك قد تقول سير عليه فى اليوم ويُسارُ عليه فى يوم الجمعة والسيرُ كان فيه كله. فجملة: سير عليه اليومُ "بالرفع" تنصرف إلى المجاز إذا ما قصد المتكلم أن السير كان في بعض اليوم وليس اليوم كله؛ وهو ما عبر عنه سيبويه بقوله "فترفعُ وأنت تعنى فى بعضه"، وكذلك جملة: الليلةُ الهلال "برفع الليلة" ينصرف إلى المجاز؛ لأن الهلال يكون في بعض الليلة. ويؤول المتلقي الجملة الأولى تأويلا مجازيا بناء على وجود مؤشر سياقي يدل على أن السير كان في بعض اليوم وليس في اليوم كله، أما الجملة الثانية فيؤولها تأويلا مجازيا اعتمادا على استحالة كون ظهور الهلال يستغرق الليلة كلها.

وفي قوله: "ومثلُ الذين كفرُوا كمثل الذي ينعقُ بما لا يسمعُ إلا دُعاء ونداء " يقول سيبويه: "فلم يشبهوا بما ينعق – وهو الراعي – وإنما شبهوا بالمنعوق به، وإنما المعنى: مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع، ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى"(سيبويه، ١٩٦٦ م، ج١، ص٢١٢).

والذي يهمنا في هذا النص أن سيبويه يجعل علم المخاطب بالمعنى هو الذي يسوغ مجيء الكلام على الاتساع والاختصار، وذلك ما يعبر عنه التداوليون بقولهم إن المتلقي، يفهم المعنى المراد من التعبيرات المنطوقة اعتمادا على الإدراك المسبق لمقاصد أنواع الكلام.

ونجد سيبويه يقرن بين مصطلحي "الاتساع أو السعة" و"الاختصار أو الإيجاز"؛ حتى إنه يضع بابين يحتوي عنوانهما على تلك الثنائية وهما: "باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام والإيجاز والاختصار"(سيبويه، ١٩٦٦ م، ج١، ص٢١١)، و"هذا باب ما يكون فيه المصدرُ حيناً لسعة الكلام والاختصار"(سيبويه، ١٩٦٦ م، ج١، ص٢٢٢). ولا شك أن الكلام الموجز أو المختصر لا يفهم إلا من خلال التقدير، أما مجيء الكلام على السعة والاتساع فمن الواضح أن المتلقي يفهمه كذلك معتمدا على تأويله تأويلا مجازيًا.

إذن يعتمد سيبويه في فهم الجمل التي تتضمن معنى تشبيهيا على وسيلتين من وسائل التقدير الاستعمالي، هما تتميم الكلام المختصر، والتأويل المجازي لفهم الكلام فهما مخالفا للمعنى الظاهر. والتأويل المجازي يعتمد على الإدراك المسبق لمقاصد الكلام أو على السياق المقامي الذي يرد فيه الكلام، وأحيانا يحتوي السياق المقالي على ما يرجح تأويلا مجازيا على تأويل مجازي آخر، وكل تأويل أو تقدير يكون لوجه لدلالي لا يشبه الآخر، وهكذا تتضح ولا يلجأ المتلقي إلى الحكم بتخطئة المتكلم إلا بعد أن يستنفد جميع وسائل التقدير الاستعمالي، وقد جعل سيبويه الكلام على قسمين "مستقيم ومحال"؛ وقسم المحال إلى محال وهو "أن تنقض أول كلامك بآخره، فتقول: أتيتك غداً وسآتيك أمس"(سيبويه، ١٩٦٦ م، ج١، ص٢٥)، ومحال كذب وهو" أن تقول سوف أشرب ماء البحر أمس"(سيبويه، ١٩٦٦ م، ج١، ص٢٨).

إن المتلقي لا يستطيع تأويل تلك الجمل إلا على التأويل المجازي؛ لأنها لا تحتوي على محذوف فيقدر، كما أنها لا تتضمن معنى آخر أكثر مما نطق به فتوسع، ولا تتضمن معنى آخر غير الذي نطق به فيمكن تأويله على جهة التضمين أو المجاز؛ إذ لا تحتوي تلك الجمل على معنى آخر كالذي يوجد في قوله تعالى: "أتى أمر الله فلا تستعجلوه"؛ إذ التعبير بالفعل الماضي عن حدث لم يقع بعد أفاد حتمية وقوع ذلك الحدث؛ وهو لحتمية وقوعه كأنه وقع بالفعل، لم يبق إذن أمام المتلقي سوى الحكم بتخطئة هذه الجملة، وسبب التخطئة وجود ذلك التناقض بين زمن الفعل وزمن الظرف الذي قيدت به الجملة؛ فأحدهما يدل على الزمن الماضي والآخر يدل على الزمن المستقبل، وليس وراء ذلك معنى مفيد. وتزداد المشكلة إذا ما جمع المتكلم بين المستوى المجازي والمحال، كما هو الحال في جملة "سوف أشرب ماء البحر أمس"؛ فعندئذ يكون حكم المتلقي على الكلام بالتخطئة أشد.

والمتتبع لهذا النمط من الكلام "المحال" في كتاب سيبويه يجد أنه دائما يشير إلى كونه كلاما مفترضا لا ينبغي أن يُتكلم به، وذلك أنه دائما يقول "وإن قلت كذا فهو محال"؛ ومن ذلك قوله: "فإن قلت مررتُ برجل صالح ولكن طالح فهو مُحال؛ لأن لكن لا يُتدارك بها بعد إيجاب ولكنها يُثبُتُ بها بعد النفي"(سيبويه، ١٩٦٦ م، ج١، ص٤٣٥).

وإنما عد مثل كل ذلك محالا ؛ لأن الكلام لا يتحقق بالمعاني النحوية فحسب، إنما يتحقق بالمعاني النحوية المعجمية؛ وعلى الرغم من ذلك فإن "الكلام المنطوق لا يحتوي على المعاني النحوية المعجمية فحسب، بل يُراعى فيه القيم الاتصالية للسياق في الاستعمال.

والواقع أن فاعلية النظام النحوي في خلق المعنى المتعدد غير ماثلة في أذهاننا، وهذه الفاعلية جزء أساسي من حيوية اللغة وقدرتها على أداء كثير من

وظائفها، وقد بذل المتقدمون ما وسعهم من أجل توضيح هذه الملاحظة، فنظام الكلمات ونوع الترابط والانفصال بين العبارات، والتفاوت الملحوظ بين صيغ الكلمات في العبارة، كل اولئك كان مجالا واسعا لكشف امكانيات غير قليلة(ناصف، ص٢١٤)، وقد كان كتاب سيبويه – وهو أول مؤلَّف نحوي يصل الينا – كتابا جامعا لعلوم العربية وفقه أسرارها، وإن قارئه ليستشعر أنه يهتم بحسن الكلام وقبحه لا بمجرد صحته وحسب، فيقول عن الإخبار عن النكرة بنكرة: "وذلك قولك : ما كان أحد مثلك، وما كان أحد خيرا منك، وما كان أحد مجترئا عليك . وإنما حسن الإخبار ههنا عن النكرة حيث أردت أن تنفي أن يكون في مثل حاله شيء أو فوقه ؛ لأن المخاطب قد يحتاج إلى أن تعلمة مثل هذا . واذا قلت : كان رجل ذاهبا، فليس في هذا شيء تعلمه كان جهله . ولو قلت : كان رجل من آل فلان فارسا، حسن ؛ لأنه قد يحتاج إلى أن تعلمه أن ذاك في آل فلان، وقد يجهله . ولو قلت : كان رجل في قوم عاقلا، لم يحسن ؛ لأنه لا يستنكر أن يكون في الدنيا عاقل، وأن يكون من قوم، فعلى هذا النحو يحسن ويقبح" (سيبويه، ١٩٦٦ م، ج١، ص٥٤).

فنحن هنا أمام تذوق للتركيب وشرح لأسرار حسنه وقبحه، ولسنا أمام قاعدة نحوية صارمة تجيز شيئا وتخطئ آخر . وقد يطول بنا القول اذا أخذنا في تتبع الكتاب على هذا النحو، ولكني أود أن أشير إلى نص آخر من الكتاب يكشف عن روح الاهتمام بالتركيب وما يتعلق به من معنى، يقول سيبويه في باب الفاعل والمفعول :"فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك : ضرب زيداً عبد الله ؛ لأنك إنما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدما، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه، وإن كان مؤخرا في اللفظ . فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدما، وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم"(سيبويه، ١٩٦٦ م، ج١،

ص٣٤)، وهذا يكشف عن محاولة سيبويه بيان أغراض التركيب في الوقت الذي يقدم فيه أنماطه النحوية(حماسة، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ص١٢٩).

وأخيرًا أنوّه طلبة العلم إلى دراسة هذا الكتاب، فقد جمع بين دفتيه مقاصد العرب وطرق الإبانة عن مكنونها، فهو بحق كتاب مبنى ومعنى، تتضافر فيه الدلالات لتخلق نحوًا سليمًا يدخل في عمق اللغة وروحها، والأمثلة كثيرة في الكتاب تتباين فيها الدلالة، وقد ذكرنا جزءًا قليلاً منها ؛ لأن المقام لا يتسع، ولنا – إن شاء الله – نظرة أخرى، وهي دراسة إحصائية للكتاب، نحصي فيها الأمثلة وفق المجالات الدلالية، والحمد لله في البدء والختام.

الخاتمة

يمكن ايجاز أبرز النتائج التي توصل إليها البحث على النحو الآتي:

- لم تبتعد الدلالات الاصطلاحية للحذف والتقدير والتأويل والتوسع، عن معانيها اللغوية، فهي مستقاة منها .
- راعى سيبويه قضية الحذف عنده، معتمدا على حال المتكلم والمخاطب، فالمتكلم عندما يتكلم بمثل هذا الكلام يفترض أن المستمع يعلم المعنى المراد، وكذلك المستمع يتعرف على ذلك المعنى من خلال افتراضه المسبق بأن المتكلم أراد ذلك المعنى؛ وهو ما عبّر عنه سيبويه "إنما تُضمر حين ترى أن المُحدث قد عرف من تعني"، فهناك معرفة مشتركة بين الطرفين، وتلك المعرفة هي التي سوغت انصراف الكلام إلى تلك الأغراض.
- يلجأ سيبويه إلى التوسع في الاستعمال اللغوي، في كثير من التأويلات، قصدا للمبالغة والمدح، وغير ذلك .
- راعى سيبويه قضية المجاز التي يتأتى منها المعنى المطلوب، الذي تولد من خلال ظاهرتي الحذف والتقدير .
- هذه هي أبرز النتائج الرئيسة التي ظهرت في البحث، على أن هناك نتائج فرعية برزت في أثناء البحث، غير أني اكتفيت بما حسبته مهماً دفعاً للإطالة.

وفي الختام اسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي خالصاً لجلال وجهه الكريم والحمدُ لله رب العالمين، والصلاةُ والسلامُ على نبّينا الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين .

المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية (د ت).
- أثر سياق الكلام في العلاقات النحوية عند سيبويه، سارة عبد الله الخالدي "رسالة ماجستير، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، ٢١١٨ م".
- أساس البلاغة: الزمخشري، دار الكتب المصرية، مصر، ٢٠١١م.
- أصول التفكير النحوي : علي أبو المكارم، دار غريب، ط١، مصر، ٢٠٠٣م.
- أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث: محمد عيد، عام الكتب، ط٥، مصر، ١٠٩٥م.
- الأصول في النحو: ابن السراج، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط٧، لبنان، ٢٠٠١م.
- الأصول: تمام حسان، عام الكتب، مصر، ٢٠٠٠م.
- تاج العروس: الزبيدي تح: عبد الكريم العزباوي، وزارة الإعلام الكويتية، الكويت، ٢٠٠٣م.
- التراكيب غير الصحيحة نحويا في الكتاب لسيبويه: دراسة لغوية، د.محمود سليمان ياقوت، "دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، د. ت.".
- التعريفات: الشريف الجرجاني، دار الندى، مصر(دت).
- الجملة العربية تأليفها وأقسامها: فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، ط١١الأردن، ٢٠٠٣م.
- الجملة في القرآن الكريم(صورها وتوجهها البياني): رابح بومعزة، دار مؤسسة رسلان، سوريا، ٢٠٠٩م.
- الحذف والتقدير في النحو العربي: علي أبو المكارم، دار غريب، ط١، مصر، ٢٠٠٣م.
- الخصائص: ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤،
- دراسة الادب العربي: مصطفى ناصف، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، د ت.
- الدلالة والتقعيد النحوي: دراسة في فكر سيبويه، د. محمد سالم صالح، "دار غريب، القاهرة، ٢٠١٦م.
- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مصر،
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، مصر، ٢٠٠٠م.

- العربية والوظائف النحوية: ممدوح عبد الرحمان الرمالي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠١م.
- فاعلية المعنى النحوي في بناء الشعر: محمد حماسة عبد اللطيف، مجلة دراسات عربية وإسلامية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
- القاموس المحيط: الفيروز آبادي، المطبعة الأميرية، ط٧، مصر (د ت) .
- الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، "مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٦٦ م".
- كشاف اصطلاحات الفنون: التهانوي، ط١، مصر، ،٢٠٠١م
- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية): الكفوي، مؤسسة الرسالة، ط،١البنان، ٢٠٠٩م.
- لسان العرب: ابن منظور، تح: عبدالله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، مصر، (د ت).
- المحتسب: ابن جني، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، الجزء الأول ٢١١٤م.
- معاني النحو: فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، ط١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: ابن هشام الأنصاري، تح: عبد اللطيف محمد الخطيب، مجلس الثقافة والفنون، ط١، الكويت، ٢٠٠١م.
- النحو والدلالة: د. محمد حماسة، "دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢١١١م".
- النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، "أفريقيا الشرق، المغرب، د. ت.

Sources and references

•Perfection in the Sciences of the Qur'an: Al-Suyuti, edited by: Center for Qur'anic Studies, King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an, Kingdom of Saudi Arabia (DT.(

The impact of the context of speech on the grammatical relations of Sibawayh, Sarah Abdullah Al-Khalidi, "Master's Thesis, The American University, Beirut, Lebanon, 2118 AD."

•The basis of rhetoric: Al-Zamakhshari, Dar Al-Kutub Al-Masryah, Egypt, 2011.

The Origins of Grammatical Thinking: Ali Abu Al-Makarem, Dar Gharib, 1st Edition, Egypt, 2003 AD

•The Origins of Arabic Grammar from the Viewpoint of Grammarians, the Opinion of Ibn Mudhaa and the Light of Modern Linguistics: Muhammad Eid, Year of Books, 5th Edition, Egypt, 1095AD.
•Origins in Grammar: Ibn Al-Sarraj, edited by: Abdul-Hussein Al-Fatli, Al-Resala Foundation, 7th edition, Lebanon, 2001 AD.
•Origins: Tammam Hassan, Year of Books, Egypt, 2000 AD.
•Crown of the Bride: Al-Zubaidi, edited by: Abdul Karim Al-Azbawi, Kuwaiti Ministry of Information, Kuwait, 2003 AD.
•The grammatically incorrect structures in Sibawayh's book: a linguistic study, Dr. Mahmoud Suleiman Yaqout, "Dar al-Marefa al-Jami'iyya, Alexandria, Dr. T.".
•Definitions: Al-Sharif Al-Jurjani, Dar Al-Nada, Egypt (DAT.(
•The Arabic sentence, its authorship and its divisions: Fadel Saleh Al-Samarrai, Dar Al-Fikr, I, 1, Jordan, 2003 AD.
•The Sentence in the Noble Qur'an (Images and Graphic Orientation): Rabeh Boumaza, Raslan Foundation House, Syria, 2009.
•Elimination and Estimation in Arabic Grammar: Ali Abu Al-Makarem, Dar Gharib, 1st Edition, Egypt, 2003 AD.
•Characteristics: Ibn Jinni, investigated by Muhammad Ali Al-Najjar, the Egyptian General Book Organization, 4th edition,
•Study of Arabic literature: Mustafa Nassef, National House for Printing and Publishing, Cairo, D. T., D. T.
•Significance and grammatical repetition: a study of Sibawayh's thought, d. Muhammad Salem Saleh, "Dar Gharib, Cairo, 2016.
Evidence of Miracles: Abdul Qaher Al-Jarjani, edited by: Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Khanji Library, Egypt.
•Explanation of Ibn Aqil on the Alfiya of Ibn Malik: Ibn Aqeel, edited by: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Dar al-Turath, Egypt, 2000 AD.
•Arabic and Grammatical Functions: Mamdouh Abdel-Rahman Al-Ramaly, Dar Al-Marefa Al-Jamiahiya, Egypt, 2001.
•The effectiveness of grammatical meaning in constructing poetry: Muhammad Hamasa Abdul Latif, Journal of Arab and Islamic Studies, 1403 AH - 1983AD.

•The Ocean Dictionary: Al-Fayrouz Abadi, Al-Amiriya Press, 7th floor, Egypt (DT.(
•The book: Sibawayh, investigation: Abdel Salam Haroun, "Al-Khanji Library, Cairo, 3rd Edition, 1966 AD."
•Art conventions index: Al-Thanawy, 1st floor, Egypt, 2001 AD
•Colleges (a glossary of terms and linguistic differences): Al-Kafwi, Al-Resala Foundation, 1st edition, Lebanon, 2009.
Lisan Al-Arab: Ibn Manzur, edited by: Abdullah Ali Al-Kabir and others, Dar Al-Maaref, Egypt, (d.(.
•Al-Muhtasib: Ibn Jinni, investigated by Ali Al-Najdi Nasif and others, the Supreme Council for Islamic Affairs, Cairo, Part One 2114 AD.
•Meanings of Grammar: Fadel Saleh Al-Samarrai, Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution - Jordan, Edition 1, 1420 AH - 2000 AD.
•Mughni Al-Labib on the books of Arabs: Ibn Hisham Al-Ansari, edited by: Abdul Latif Muhammad Al-Khatib, Council of Culture and Arts, 1st Edition, Kuwait, 2001.
•Grammar and semantics: Dr. Muhammad Hamas, "Dar Al-Shorouk, Cairo, 1, 2111 AD."
•Text and Context: An Investigation of Research in the Semantic and Pragmatic Discourse, Van Dyck, translated by:
• Abdel Qader Qunini, "Africa of the East, Morocco, d. T

الملخص:

من طبيعة الإنسان أن يسأل عن الأسباب ويبحث عن موجباتها ويتتبع حقائقها، ولم يكن النحو بما فيه من تراكيب ودلالات بمعزل عن تلك الأسباب، والمتأمّل في كتاب سيبويه يجد أنه بصدد نظامٍ لغويٍّ حيٍّ يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمستعمله، بل إن سيبويه يراعي كثيرًا في تأويلاته مسألة قصد المتكلم، وأحوال المخاطبين، فبناء اللغة في الكتاب أو بعبارة أدق المعجم اللغوي في الكتاب بُنيَ على مستوى قصدي عند سيبويه؛ لأنه كان على إدراك باستعمال اللغة، وهي تلك اللغة التي أحسن مصاحبتها، وبنى عليها استنباطاته اللغوية، وقواعده النحوية، ومنها معاني الجمل التي حذف منها أحد أجزائها، أو الجمل التي تحمل أكثر من معنى، أو الجمل التي تحمل معنى غير معناها اللغوي المباشر.

الكلمات المفتاحية: التباين الدلالي، التأويل، سيبويه، الحذف، التقدير، ظاهرة.

Abstract:

It is human nature to ask about causes, search for their causes, and follow their facts. The syntax, including its structures and connotations, was not isolated from those reasons. The contemplator in Sibawayh's book finds that it is about a living linguistic system that is closely related to its user. In fact, Sibawayh takes into account a lot in his interpretations of the issue of the speaker's intention and the conditions of the addressees. The construction of the language in the book, or more accurately the linguistic lexicon in the book, was built on the level of my intention at Sibawayh; Because he was aware of the use of language. It is that language that he best accompanied, and upon which he built his linguistic deductions, and his grammatical rules, including the meanings of sentences from which one of its parts was deleted, or sentences that carry more than one meaning, or sentences that carry a meaning other than their direct linguistic meaning.

Keywords: semantic contrast, interpretation, Sibawayh, omission, appreciation, phenomenon .